الفصل الثانى
حركة الإصلاح الديني فى أوروبا

- **من نتائج اتصال والاحتكاك**
- **لوثر(١٤٨٣ – ١٥٤٦) وزونجلى –و أولريتش زونجلي(١٤٨٤ – ١٥٣١)**
- **چون كالفن(١٥٠٩-١٥٦٤م)**
- **تقويم العلم إلى جانب تقويم التدين**

كان **من نتائج اتصال أوروبا** بالشرق الإسلامي واحتكاكها به فى التعامل التجاري والحروب الصليبية -كما ذكرنا - أن بدأ التنبيه الدنيوي كما كان من نتيجته ظهور الأفكار القومية والعلمانية.

- وقد كان من تأثير ذلك كله فى مناخات من العلم والتجريب والاستنارة والكنسية فى نفس الوقت أن بدأ الصراع بين العلمانيين والكنسيين وآثر حكام الأقاليم مصلحة أقاليمهم والاحتفاظ بثرواتهم بمجرد أن منحوا فتيا المصلحين الدينيين فى أقاليمهم نفسها أو فيما جاورها .[1]

لقد بدأ صراعا فكريا اجتهاديا فى أول الأمر ولكن القوميين اندفعوا به وألجأتهم الكنيسة إلى ذلك فالتمسوا الحفاظ على بقائهم بتكتلهم داخل أقاليمهم وصار الأمر ضرورة حين تشعب الخلاف واحتد النزاع داخل الأقاليم نفسها وأوشكت أن تسقط من جديد فى قبضة الحكم المركزي الديني وبدأ البابويون يلوحون بسلطاتهم الأخلاقية ويرهبون بتهم الزندقة ومن قبل كانت تهمة الإسلام تكفي لإدانة عالم قال بالتجربة كروجر بيكون (١٢٩١م) أو قديسة قالت باللا واسطة بين العبد وربه مثل جان

---

[1] العلمنة Seularization : عملية تطوير المجتمع سياسيا واقتصاديا بالعمل من أجل الإنسان وبجهده.
-و"قد لا تعنى اعتناق نظرية علمانية بذاتها تستبعد الدين"١ الحوار بين الأديان/ د. وليام سليمان، ص ١٨٨ – عن:
-Ali Descuky/ Twards Comparative Study of Secularisation in Ckristian and Islamic Experience, Dans, Islam and The Modern Age, vol. 11, no 2, May , 1971.S

obeikandl.com

دارك [1]، (١٤١٢ – ١٤٣١).

مارتن لوثر وأولريتش زونجلى (١٤٨٣-١٥٤٦/١٤٨٤-١٥٣١م):
ولكن هذه المقولة لم تمت بل بعثها من الإنجيل نفسه مارتن لوثر[2] بتأمله ما ورد فى رسالة القديس بولس إلى الرومانيين من أن الأبرار يعيشون بالإيمان وهو الذي أطلق على تفسيره الذاتي للعبارة اسم الخلاص عن طريق الإيمان . فلقد ساءت فى نظره فكرة وساطة القسيس وتقزز من أسلوب التماس المال من الفقراء ببيع التقاليد الدينية ثم ميز بين الاهتمام الديني والاهتمام المدني وأوجب على المسيحي الخضوع السلبي للنظام السياسي والاجتماعي.

ولقد هرب لوثر من مدينة فورمر بعد أن حاكمه البابا والامبراطور بتهمة الزندقة فبسط حاكم سكوسنيا عليه حمايته فتفرغ لوثر للبحث والدرس وسرعان ما تباري العلماء والمعلمون على أثره فى مهاجمة تعاليم الكنيسة وسلطة البابا وأيدهم الأمراء إذ وجدوا فى ذلك فرصة سانحة للتوقف عن دفع الأموال خارج ولاياتهم.

ويبدو أن قرار بابا روما حرمان لوثر كنسيا والاتهام الذي وجهه إليه واضطره إلى الهرب إلى ألمانيا قد أدي إلى الزج بدعوته الإصلاحية الممتازة فى أتون الصراع القومي . ففي رسالته إلى النبلاء المسيحيين الألمان أعلن أن الغرض الذي يهدف إليه هو إيقاظ الشعور القومي الألماني ضد الشعور القومي الإيطالي وأنه ينتظر عون الحكومة الألمانية لنجاح الحركة التى يدعو إليها كما بين فى سبعة وعشرين نقطة أن هذه

---

[1] بعض الأسباب التى أرجعنا إليها سوء ظن الدينيين الأوربيين بالإسلام مثل سوء مأخذ فريديك الثاني عن مثل المعري وسوء مأخذ بعضهم عن الأطباء العرب وفلاسفة الإسلام كابن سينا بكتابنا أبو العلاء المعرى ونظرة جديدة إليه،دار المطبوعات الجديدة ، ١٩٩٣م مج١، ص٢٢٥، ٢٢٦ (تناول المضامين المعادية للنبوة فى الكتابات الغربية):
- وبقسم (الماكيافيلليةوحيث الإشارة إلى سير النظرة إلى القرآن عكس ذلك أو كتابنا فى محاولات تقديم القرآن – الترجمة اتجاهاتها وأثرها فى الأدب ومناهج البحث أو كتابنا فى محاولات تقديم القرآن وترجمته فى العصر الحديث .
- و يراجع ما هي النهضة – ص٢٩ لدلالة الصدور عن المرحوم سلامة موسى خاصة والتواريخ من دوائر المعارف خاصة.

[2] Marten Luther 1483- 1546 بالفكر السياسي الغربي – ص١٨٨ – ١٩٢

الحركة يجب أن تتولاها القوة الدنيوية أوالحكومية.

وزاد لوثر فأعطي الحكومة المدنية صفه إلهية وذكَّر بحثّ الإنجيل للمسيحي على طاعة الأمير وإن كان مخطئا وأوجب طاعة غير المسيحي له أيضا باعتبار أن الشعب مكون منهما[١]. ولم تضعف الحركة الإصلاحية الدينية بسبب انقسامها إلى تيارين : أحدهما تمثله اللوثرية بين الدول المونماركية فى شمال ألمانيا والآخر تمثله الزونجلية نسبة إلى أولرتش زونجلي [٢]، الذي نشر الحركة نفسها فى المقاطعات السويسرية الأرستقراطية وجنوب ألمانيا . فليس ثمة كبير خلاف بين التيارين ولكن الاقليمية عاقتهما عن صد النفوذ البابوي الروماني وقضي زونجلي حياته فى محاولة منع المقاطعات الكاثوليكية من فرض تفسيرها للإنجيل على أصحاب العقيدة الإصلاحية[٣].

وعلى الرغم من سلك زعماء حركة الإصلاح الديني وأشهرهم لوثر فى سلك المناضلين السياسيين والقوميين فإن أهم ما يميزهم عن غيرهم هو أنهم رجال دين فى المحل الأول وأن ثورتهم بالدين قد كانت للدين نفسه . فثورة لوثر مثلا قد كانت على القشرة التى حجبت النقاء الديني، فلذا اعترض على طقوس الكاثوليك وشعائرهم وأقام المذهب البروتستانتي الذي يقلل كثيرا من قيمة الشعائر فى ذاتها، ويخفف من وطأة الغطاء الاجتماعي(الجهل) أو طغيانه على الدين[٤].

چون كالفن (١٥٠٩-١٥٦٤م) :

ولم تشتد الحركة الإصلاحية وتبلغ ذروتها إلا تحت تأثير المصلح الفرنسي 'چون كالفن' [٥] الذى تميزت كتاباته بالمذهبية والتناسق فأجدي تكراره ما قرره سابقوه ولاسيما القول بأن على الرعايا واجب إطاعة

---

[٣] الفكر السياسي الغربي – ص١٩٠-١٩٢

[٢] Ulrich Zwingli نفسه ١٩٧، ١٩٨

[٥] نفسه ١٩٩

[٦] قضايا علم الأخلاق – د. قباري محمد إسماعيل ط٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الاسكندرية ١٩٧٨م ص ٢٧٢ ف٢

[٨] الفكر السياسي الغربي – ص١٩٩ – ٢٠٢ John Calvin

حكامهم، ولكنه قيد الطاعة بحدود إطاعة الحاكم نفسه للأمر الإلهي كما أبقي على علاقة تعاون واستقلال بين الدولة الكنيسة وَفقا لطبيعة عمل كل منهما فحقق بذلك موازنة عادلة بينهما.

ثم كان قوله بعدم الاعتبار بما بين نظم الحكم المونـاركية والأرستقراطية والديمقراطية من فروق إلا ميزة أي منها فى تحقيق العدالة فصلا نظريا قيما بين السياسية وبين الأخلاق ووضعا للسياسة الوضع الصحيح بين العلوم الإنسانية والأدبية.

- ومجمل تأثير حركة الإصلاح الديني فى تاريخ الدول القومية أنها قضت على فكرة الكنيسة العالمية التى يرأسها بابا روما، وأضعفت من فكرة قيام امبراطورية موحدة يرأسها امبراطور، وفى مقابلها سودت الاتجاه القومي وشجعت إقامة الدول القومية National States .

لكن وجها للقصور فى الحركة الإصلاحية الدينية قد ظهر فى إغفال التوضيح لسمات الحاكم أو صفاته الشخصية أو شروط الإمامة بتعبيرنا نحن ومع ذلك خولت الحركة للحكومة المدنية مهمة القضاء على الزنادقة بدلاً من الكنيسة مما أدي إلى ازدياد التعصب فأخذ الرؤساء وقد عدوا أنفسهم بابويين أكثر من البابا فى البطش بغير المسيحيين مما أنتج حركة أخري عرفت بحركة مقاومة الطغيان.

وتميزت الدعوة بجدها فى مطالبتها بالحد من سلطات الحاكم، وتقييدها وتخويل الشعب الثورة، وتأكيد دعوى الحرية ومبدأ التسامح الديني فى الدولة وعلمنتها[١]، ومهدت الطريق لظهور فلسفات العَقْد الاجتماعي عند 'هوبز' و 'لوك' و 'رسو' وغيرهم.

الواقع أن دعوة الإصلاح الدينى عند كالفن قد اتسعت واتسمت بالنظرة

[٩] كتابنا الموسع/ قضايا ص ٩٢ ومبحث ١ چون كالفن – ومطرد الاعتداد بمعيار المصلحة فى وسطية أرسطو وحكومة اسبرطه المشتركة ولدي بوليبوس وشيشرون بالكتاب – ص ١٨٤ (٣٥هـ) وص ٨٩ وهامشه ٢٥٠

العلمية وبشمول منزعها الإنسانى . وبينا أثره فى الموازنة بين سلطة الدولة ومجال العمل الدينى حيث أبقى على فكرة الفصل بين السلطتين وأقر بحق الناس فى عدم طاعة الحاكم الظالم ؛ خلافا لسمييه لوثر و زونجلى . وبينا كيف أنه لم يعتبر بما بين نظم الحكم الثلاثة المعروفة من فروق إلا بفرق واحد هو ميزة أى منها فى تحقيق العدالة . فربط السياسة بالقيمة ووضعها (أى السياسة) موضعها فى العلوم الإنسانية ؛ وبذلك اوعز لمن يأتى بعده بأن يتكلم فى القضايا وحقوق الشعب ؛ بل حدود السلطة والملكية بقوة متزايدة ثم لمن يأتى بعد أيضا فيفصل فى صور العدالة وأساليب تطبيقها فى الملكية والحقوق السياسية والأدبية الأخرى ؛ وبتعبير سابق "تميزت الدعوة بجدها فى مطالبتها بالحد من سلطات الحاكم، وتقييدها وتخويل الشعب الثورة، وتأكيد دعوى الحرية ومبدأ التسامح الديني فى الدولة وعلمنتها[1]، ومهدت الطريق لظهور فلسفات العَقْد الاجتماعي عند 'هوبز' و 'لوك' و 'رسو' وغيرهم" (منتسكيو و پين، كما سيلى).

تقويم العلم:

أو هو ذلك الجهد الدِّين المستمر الذي أخذ على عاتقه أيضا تقويم طغيان العلم ممثلا فى علم الاجتماع مثلا أو العلم البيولوجي التطوري ومن ذلك تقويم 'برجسون' لـ ' دوركايم' رغم أن دوركايم، قد عرف بنقضه الأخلاقية البيولوجيه الداوروينية السبنسرية بفلسفتها الملحدة الأخري عن روح المجتمع أو الإله الاجتماعي وعلم الأخلاق الاجتماعي [2].

لكن حركة التنوير الديني قد اطردت ومنها تلك الحركة العقلانية التى اقترنت بـ 'ديكارت' و 'سينوزا' فى العصر الحديث وأمثالهما من المسلمين واليونان فى العصر القديم؛ وإن كان هذا الأسلوب قد كان أقل حظاً فى عصرنا منه فى أي عصر آخر، كما سيطرد بيانه في البحث.

---

[1] كتابنا الموسع/ قضايا ص ٩٢ ومبحث ١ چون كالفن – ومطرد الاعتداد بمعيار المصلحة فى وسطية أرسطو وحكومة اسبرطه المشتركة ولدي بوليبوس وشيشرون بالكتاب – ص ١٨٤ (٣٥هـ) وص ٨٩ وهامشه ٢٥٠

[2] كتابنا الموسع/ قضايا الفكر السياسي الغربي فى ضوء التراث العربي ص ٢٦، ٢٧ ومقال معد لنا فى علم الاجتماع وقضية الأخلاق.